

من روائع وصايا
الأنبياء والرسالة

إعداد

عبد الرحمن بن حسين المالكي
د. أمين بن عبد الله الشقاوي

من روائع وصايا
الآباء والابناء



حُقوقُ الطبعِ محفوظةٌ للمؤلفين

الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ / ٢٠٢١م

هــؤال رقم : ٥٠٤٤٢٠٥٦٠



من روائع وصايا
الأنبياء والرسالة

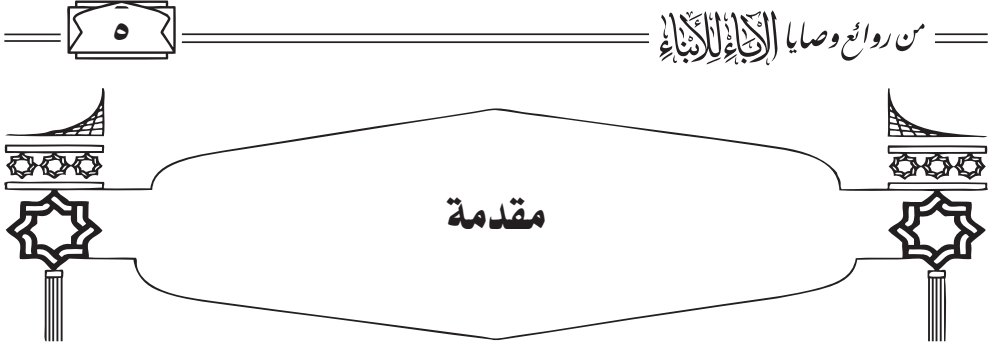
إعداد

عبد الرحمن بن الحسين المالكي

د. أمينة بن عبد السلام الشقاوي







بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُونَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران، آية: ٢٠١]. ﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ مِمَّنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِءَ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء، آية: ١]. ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [٧٠] يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [سورة الأحزاب، آيتان: ٥٧، ١٧].

أما بعد :

فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار .



من روائع وصايا الأئمة الأئمة

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ ۖ وَهُوَ يَعِظُهُ ۖ يَبْنَىٰ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ ۖ وَهَنَا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصْلَهُ ۖ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَىٰ الْمَصِيرِ ﴿١٤﴾ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّٰ ثُمَّ إِلَىَّٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَبْنَىٰ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَبْنَىٰ أَقِمِ الصَّلَاةَ ۖ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ ۖ وَأَنه عَنِ الْمُنْكَرِ ۖ وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرْحًا ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ ۖ وَأَغْضُضْ مِّنْ صَوْتِكَ ۖ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾

[سورة لقمان، الآيات: ١٢ - ١٩].

في هذه الآيات الكريمات ذكر الله وصايا الرجل الصالح لقمان عليه السلام لابنه لما فيها من الفوائد والحكم، قال ابن كثير رحمته الله: «اختلف السلف في لقمان عليه السلام، هل كان نبياً أو عبداً صالحاً من غير نبوة؟ على قولين؛ الأكثرون على الثاني. ونقل عن ابن جرير بإسناده إلى عمرو بن قيس قال: «كان لقمان عبداً أسود غليظ الشفتين مصفح القدمين، فأتاه رجل وهو في مسجد أناس يحدثهم فقال له: أأست الذي كنت ترعى معي الغنم في مكان كذا وكذا، قال: نعم، فقال: فما بلغ بك ما أرى، قال: صدق الحديث والصمت عما لا يعنيني»، وفي رواية أخرى: زيادة: «وأداء الأمانة».

وعن عمر مولى غفرة قال: وقف رجل على لقمان الحكيم فقال: أنت



لقمان؟ أنت عبد بني الحسحاس؟ قال: نعم، قال: أنت راعي الغنم؟ قال: نعم، قال: أنت الأسود؟ قال: أما سوادى فظاهر، فما الذي يعجبك من أمري؟ قال: وطء الناس بساطك، وغشيتهم بابك، ورضاهم بقولك، قال: يا ابن أخي، إن أصغيت إلى ما أقول لك كنت كذلك، قال لقمان: غضبي بصري، وكفي لساني، وعفة طعمتي، وحفظي فرجي، [وقولي بصدقي]، ووفائي بعهدي، وتكرمتي ضيفي، وحفظي جاري، وتركبي ما لا يعنيني، فذاك الذي صيرني إلى ما ترى^(١).

وساق ابن أبي حاتم بسنده إلى الدرداء رضي الله عنه أنه قال يوماً - وذكر لقمان الحكيم - فقال: ما أوتي ما أوتي عن أهل ولا مال، ولا حسب ولا خصال، ولكنه كان رجلاً صمصامة سكيئاً، طويل التفكير، عميق النظر، لم ينم نهاراً قط، ولم يره أحد قط ييزق ولا يتنخع، ولا يبول ولا يتغوط، ولا يغتسل، ولا يعبث ولا يضحك، وكان لا يعيد منطقاً نطقه إلا أن يقول حكمة يستعيدها إياه أحد، وكان قد تزوج وولد له أولاد فماتوا فلم يبك عليهم، وكان يغشى السلطان ويأتي الحكام، لينظر ويتفكر ويعتبر، فبذلك أوتي ما أوتي^(٢).

(١) تفسير ابن كثير رضي الله عنه (١١ / ٥١).

(٢) تفسير ابن كثير رضي الله عنه: (١١ / ٥١ - ٥٢)، وقال محققوه: إسناده ضعيف، الأشعث هو ابن سوار، قال الحافظ: ضعيف. وهو من بلاغات ابن عباس ولا نعلم من أخبر ابن عباس بذلك! وقد رواه جماعة عن لقمان بهذا الوصف أو قريب منه كما سيسوقه المصنف، وهذا يشبه أن يكون قد أخذوه من مصدر واحد، ولكن لا نستطيع أن نجزم أنهم أخذوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع إمكانية ذلك وجوازه، لأنه من الممكن أن يكونوا قد حملوه عن أهل الكتاب، وقد أمروا أن يحدثوا عنهم، ولا حرج عليهم في ذلك، والله أعلم. والخبر أخرجه ابن جرير الطبري في تفسيره.



من روائع وصايا الأئمة الأطهار

قال الشيخ عبد الرحمن بن سعدي: وهذه الوصايا التي وصى بها لقمان ابنه تجمع أمهات الحكم وتستلزم ما لم يذكر منها، وكل وصية يقرب بها ما يدعو إلى فعلها إن كانت أمراً، وإلى تركها إن كانت نهياً، وهذا يدل على ما ذكرنا في تفسير الحكمة؛ أنها العلم بالأحكام وحكمها ومناسباتها.

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ﴾، والحكمة هي الفهم والعلم، وهي من أفضل ما أُوتي العبد، قال تعالى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [سورة البقرة، آية رقم: ٢٦٩]، وهذه من العطايا التي تستوجب الشكر، لذلك قال **سُبْحَانَكَ**: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾. وفي هذه الآية من الفوائد:

١- أن فضل الله **بِزُجْرِكَ** ليس مقصوراً على أحد، يؤتاه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، فعلى العبد أن يسأله ذلك ولا ييأس ولا يقنط.

٢- أن الحكمة من أفضل ما أُوتي العبد.

٣- أن الحكيم ينبغي الانتفاع بحكمه ومواعظه ووصاياه.

٤- إن من أسباب زيادة النعم ودوامها شكر المنعم بها وهو الله سبحانه وتعالى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [سورة إبراهيم، آية رقم: ٧].

٥- أن شكر الشاكر يعود نفعه عليه وينال به أفضل الجزاء، قال تعالى: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [سورة آل عمران، آية رقم: ١٤٤]، وقال تعالى ممتناً على نبيه لوط **عَلَيْهِ السَّلَامُ**: ﴿نِعْمَةٌ مِّنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ﴾ [سورة القمر، آية رقم: ٣٥].



٦- كذلك الكافر فإنما يعود ضرره عليه، ولا يضر الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (١٧٧) ﴿١٧٧﴾ [سورة آل عمران، آية رقم: ١٧٧].

٧- أن الله تعالى غني لا تنفعه طاعة الطائع، ولا تضره معصية العاصي: قال تعالى: ﴿إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [سورة الزمر، آية رقم: ٧].

٨- أن من تقرب إلى الله تعالى ولو بشيء يسير فإنه لا يضيع عند الله لأنه سبحانه وتعالى حميد، فأربح التجارات هي التجارة معه ﷺ، قال تعالى: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ يَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا﴾ [سورة المزمّل، آية رقم: ٢٠].

٩- ينبغي للمسلم أن يوصي بهذه الوصايا ونحوها وأولى الناس بذلك الأولاد وهو أشفق الناس عليهم وهي سنة الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (١٣٠) ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمُ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) ﴿١٣١﴾ وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمْ الَّذِينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢) ﴿١٣٢﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَايَكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهُهَا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣) ﴿١٣٣﴾ [سورة البقرة، الآيات: ١٣٠ - ١٣٣].



وصايا لقمان الحكيم عليه السلام

الوصية الأولى:

الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك

وقد بدأ الله بها لأنها أعظم الوصايا وأنفعها، فأعظم ما أمر الله به التوحيد، وأعظم ما نهى الله عنه الشرك، والنهي عن الشرك يستلزم توحيد الله وإخلاص العبادة له سُبْحَانَهُ، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [سورة النحل، آية رقم: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [سورة البقرة، آية رقم: ٢٥٦]، وما أرسل الله الرسل، وأنزل الكتب وجردت السيوف ورفعت رايات الجهاد إلا لطمس معالم الشرك، وأن يكون الدين كله لله.

قال الشيخ ابن سعدي رحمته الله: «ووجه كون الشرك ظلماً عظيماً أنه لا أظنع وأبشع من سوى المخلوق من تراب بمالك الرقاب وسوى الذي لا يملك من الأمر شيئاً بمالك الأمر كله، وسوى الناقص الفقير من جميع الوجوه بالرب الكامل الغني من جميع الوجوه، وسوى من لم ينعم بمثقال ذرة من النعم بالذي ما بالخلق من نعمة في دينهم ودنياهم وأخراهم وقلوبهم وأبدانهم إلا منه، ولا يصرف السوء إلا هو. فهل أعظم من هذا الظلم شيء؟ وهل أعظم ظلماً ممن خلقه الله لعبادته وتوحيده فذهب



بنفسه التي خلقها الله في أحسن تقويم فجعلها في أخس المراتب، جعلها عابدة لمن لا يسوى شيئاً فظلم نفسه ظلماً كثيراً^(١).

ولقد أبدى الله وأعاد كثيراً في كتابه الكريم في النهي عن الشرك لعواقبه الوخيمة في الدنيا والآخرة، فأما في الدنيا فإن صاحبه يحرم الأمن والهداية، وأما في الآخرة فشقاء الأبد وخلود في نار جهنم لا يموت فيها ولا يحيا، وأما من وحد الله فعيشه أنعم العيش وحياته أطيب الحياة، وفي الآخرة ينعم برضى الله ونعيم باق، وخلود دائم في جنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين.

وإن من فضل الله تعالى على خلقه أنه لا يأمرهم بشيء إلا بين لهم نفعه، ولا ينهاهم عن شيء إلا بين لهم ضرره، حتى يكون العبد على بصيرة بمن يتعلق ولمن يسلم وجهه إليه، قال تعالى: ﴿أَمْنَ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [سورة النحل، آية رقم: ١٧]، وقال تعالى - مبيناً لعباده عظمته وأنه هو الذي يجب أن يتعلق به ويتوكل عليه وتخلص العبادة له، قال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [١] الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ نَقْدِيرًا﴾ [سورة الفرقان، آية رقم: ١-٢]، ثم قال تعالى مبيناً ضعف المخلوق وأن أخسر الناس من تعلق بمخلوق ضعيف مثله فقال: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [سورة الفرقان، آية رقم: ٣].

(١) تفسير الشيخ السعدي رَحِمَهُ اللهُ (ص ٨٦٥-٨٦٦) بتصرف.

وقال تعالى: ﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ رَزَقْنَاهُ مِنَّْا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوِيَنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمٌ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ [سورة النحل، الآيتان: ٧٥ - ٧٦].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الوصية الثانية:

من وصايا لقمان الحكيم لابنه: بر الوالدين

وردت النصوص الشرعية بالحث على بر الوالدين مع بيان الأجر العظيم في ذلك والتحذير من عقوقهما مع بيان ما يترتب عليه من الأضرار الوخيمة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آفٍ وَلَا نَهْرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾﴾ [سورة الإسراء، آية رقم: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [سورة النساء، آية رقم: ٣٦].

وقال النبي ﷺ: «رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ، ثُمَّ رَغِمَ أَنْفُهُ»، قيل: مَنْ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! قَالَ: «مَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ عِنْدَ الْكِبَرِ، أَحَدَهُمَا أَوْ كِلَيْهِمَا، ثُمَّ لَمْ يَدْخُلِ الْجَنَّةَ»^(١).

وقال ﷺ: «... وَلَعَنَّ اللَّهُ مَنْ لَعَنَّ وَالِدَيْهِ»^(٢).

وقال ﷺ: «رِضَا الرَّبِّ فِي رِضَا الْوَالِدِ، وَسَخَطُ الرَّبِّ فِي سَخَطِ الْوَالِدِ»^(٣).

(١) صحيح مسلم برقم (٢٥٥١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) جزء من حديث مسلم برقم (١٩٧٨) من حديث علي رضي الله عنه.

(٣) سنن الترمذي برقم (١٨٩٩) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وصححه الشيخ =

وكثيراً ما يقرن الله بين عبادته والوصية بالوالدين وهذا يدل على عظمة ذلك، وهكذا في وصايا لقمان عليه السلام، فبعد أن أوصاه بعبادة الله وحده ثنى بطاعة الوالدين، قال تعالى: ﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلًى وَهَنٍ وَفِضْلُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ١٤ ﴾ وَإِنْ جَهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبَهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ١٥ ﴾، وفي هاتين الآيتين من الفوائد والحكم ما يدعو إلى تدبرها والوصية بها:

- ١- رحمة الله بعباده إذ يوصيهم بما ينفعهم فعلاً وتركاً.
- ٢- أن الوصية بالوالدين عامة لكل الناس مشركهم ومؤمنهم وكافرهم ومسلمهم.
- ٣- الوالدان الموصى بهما هما الأب والأم، ويلحق بهما الجد والجددة.
- ٤- بين الله تعالى سبب الوصية للوالدين فقال عن الأم: ﴿ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهَنًا عَلًى وَهَنٍ وَفِضْلُهُ فِي عَامَيْنِ ﴾، قال ابن سعدي رحمته الله: «أي مشقة على مشقة، فلا تزال تلاقي المشاق من حين يكون نطفة من الوحم والمرض والضعف والثقل وتغير الحال، ثم وجع الولادة، ثم فصاله في عامين». وهو ملازم لحضانه أمه وكفالتها ورضاعها، أفما يحسن بمن تحمل على ولده هذه الشدائد مع شدة الحب أن يؤكد على ولده ويوصي الله بتمام الإحسان إليه^(١).

= الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة (٤٤ / ٢) برقم (٥١٦).

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (ص ٨٦٦).



٥- أن تمام الرضاة عامان كاملان، قال تعالى: ﴿ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ
أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنَ كَامِلَيْنِ ﴾ [سورة البقرة، آية رقم: ٢٣٣].

٦- الله سُبْحَانَهُ وتعالى شكور وسمى نفسه الشكور وأمر عباده أن يشكروه
لما له عليهم من الفضل العظيم ويشكروا من أحسن إليهم، ويعلموا
أنهم حين يقومون بذلك سيرجعون إلى الله تعالى فيجزئهم أحسن
الجزاء، ولذلك قال: ﴿ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴾ [سورة
لقمان، آية رقم: ١٤].

٧- قرن الله تعالى بين شكره وشكر الوالدين، فكما أن الله يستحق الشكر
لأنه هو الذي أوجدك من العدم فكذلك أوصى بشكر من كان سبباً
في وجودك، ولو لم يكن إلا هذا السبب لكفى به موجباً لبر الوالدين
وطاعتهما. وهذا السبب لا يوجد من أعمال البر ما يكافئه إلا شيئاً
واحداً لا يتوفر في غالب الناس، قال النبي ﷺ: «لَا يَجْزِي وَكَدَّ وَالِدًا
إِلَّا أَنْ يَجِدَهُ مَمْلُوكًا فَيَشْتَرِيَهُ فَيُعْتِقَهُ»^(١).

٨- مع هذه الوصايا العظيمة ببر الوالدين إلا أن طاعتها مشروطة بأن
تكون في غير معصية الله، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق مهما
عظم قدره.

روى مسلم في صحيحه من حديث مصعب بن سعد عن أبيه رضي الله عنه،
أنه نزلت فيه آيات من القرآن، قال: «حَلَفْتُ أُمَّ سَعْدٍ أَنْ لَا تُكَلِّمَهُ أَبَدًا
حَتَّى يَكْفُرَ بِدِينِهِ، وَلَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ، قَالَتْ: زَعَمْتَ أَنَّ اللَّهَ وَصَّاكَ

(١) صحيح مسلم برقم (١٥١٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



من روائع وصايا الأئمة الأئمة

بِوَالِدَيْكَ، وَأَنَا أُمَّكَ، وَأَنَا أَمْرُكَ بِهَذَا. قَالَ: مَكَثْتُ ثَلَاثًا حَتَّى غُشِيَ عَلَيَّهَا مِنْ الْجَهْدِ، فَقَامَ ابْنُ لَهَا يُقَالُ لَهُ عُمَارَةٌ، فَسَقَاهَا، فَجَعَلَتْ تَدْعُو عَلِيَّ سَعْدٍ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾^(١) [سورة لقمان، آية رقم: ١٥].

٩- ما أرحمك يا رب وما أحلمك وما أكرمك، فشرك الوالدين وكفرهما وعصيانهما لربهما؛ بل حتى مع اجتهادهما وشدة حرصهما على ولدهما أن يشرك بالله تعالى ولا يؤمن به ويعصيه ولا يطيعه، مع هذا كله أمر بالإحسان إليهما ومصاحبتهما بالمعروف ولم يقل: وإن جاهداك على أن تشرك بي فعقهما؛ بل قال: «فلا تطعهما».

١٠- قوله تعالى: ﴿مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾.

بيان واضح أن كل من أشرك بالله تعالى أن فعله ليس على علم بل على جهل وضلال، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾^(١١٧) [سورة المؤمنون، آية رقم: ١١٧]. وقد تحدى الله تعالى جميع الخلق أن يأتوا ببرهان على شركهم، قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٤) [سورة الأحقاف، آية رقم: ٤].

١١- في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنْابَ إِلَيَّ﴾ حث على اتباع سبيل

(١) صحيح مسلم برقم (٤٣ / ١٧٤٨).



المؤمنين المنيبين إلى الله والافتداء بهم ومصاحبتهم، قال تعالى لنبيه ﷺ لما ذكر الأنبياء قال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَقْتَدَهُ﴾ [سورة الأنعام، آية رقم: ٩٠]، وكما أمر باتباع سبيل المؤمنين حذر من اتباع سبيل غيرهم فقال: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُنِنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ ۖ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [سورة النساء، آية رقم: ١١٥].

١٢- تضمنت الآية الكريمة التنبيه إلى فضل مصاحبة الأخيار، وقد وردت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة تحث على ذلك وتنهى عن خلافه، قال تعالى - بعد أن ذكر ما وجده زكريا عليه السلام من الرزق عند مريم عليها السلام الذي لا يوجد عند غيرها، وأن الله هو الذي رزقها به - قال تعالى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾ [سورة آل عمران، آية رقم: ٣٨]، وقال تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ [سورة الزخرف، آية رقم: ٦٧].

فمصاحبة الصالحين خير وبركة في الدنيا والآخرة، روى البخاري ومسلم من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إِنَّمَا مَثَلُ الْجَلِيسِ الصَّالِحِ، وَجَلِيسِ السُّوءِ، كَمَثَلِ الْمَسْكِ، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، فَحَامِلُ الْمَسْكِ، إِمَّا أَنْ يَحْدِيكَ، وَإِمَّا أَنْ تَبْتَاعَ مِنْهُ، وَإِمَّا أَنْ تَحْدِ مِنْهُ رِيحًا طَيِّبَةً، وَنَافِخِ الْكَبِيرِ، إِمَّا أَنْ يَحْرِقَ ثِيَابَكَ، وَإِمَّا أَنْ تَحْدِ رِيحًا خَبِيثَةً»^(١).

وروى الترمذي في سننه من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ، فَلْيَنْظُرْ أَحَدَكُمْ مَنْ يُخَالِلُ»^(٢).

(١) صحيح البخاري برقم (٥٥٣٤)، وصحيح مسلم برقم (٢٦٢٨) واللفظ له.

(٢) برقم (٢٣٧٨)، وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله في السلسلة الصحيحة (١/ ٦٣٣) برقم (٩٢٧).

وأيضاً فإن من جالسهم تشمله بركة مجالستهم ويعمه الخير الحاصل لهم، وإن لم يكن عمله بالغاً مبلغهم، كما دل على ذلك ما أخرجه الشيخان من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً يَطُوفُونَ فِي الطُّرُقِ، يَلْتَمِسُونَ أَهْلَ الدُّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا قَوْمًا يَذْكُرُونَ اللَّهَ تَنَادَوْا: هَلُمُّوا إِلَيَّ حَاجَتِكُمْ»، وفي آخر الحديث: «فَيَقُولُ اللَّهُ، فَأُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ». قَالَ: «يَقُولُ مَلَكٌ مِنَ الْمَلَائِكَةِ: فِيهِمْ فُلَانٌ لَيْسَ مِنْهُمْ إِنَّمَا جَاءَ لِحَاجَةٍ. قَالَ: هُمْ الْجُلَسَاءُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ»^(١).

قال عمر رضي الله عنه: لولا ثلاث ما أحببت العيش في هذه الحياة الدنيا: ظمأ الهواجر، ومكابدة الساعات من الليل، ومجالسة أقوام يتتقون أطياب الكلام، كما يتتقى أطياب الثمر.

قال الشافعي:

إِذَا لَمْ أَجِدْ خِيَلًا تَقِيًّا فَوَحْدَتِي أَلَذُّ وَأَشْهَى مِنْ غَوِيٍّ أَعَاشِرُهُ
وَأَجْلِسُ وَوَحْدِي لِلْعِبَادَةِ آمِنًا أَقْرُّ لِعَيْنِي مِنْ جَلِيسٍ أَحَاذِرُهُ

١٣- في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ﴾ تنبيهه إلى أنه ينبغي للعبد أن يتذكر عند كل عمل صالح يعمله أنه سيلاقيه، فيدفعه ذلك إلى إحسانه وإخلاص النية فيه، فما ضل من ضل إلا بنسيان ذلك اللقاء، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ﴾ ﴿٦٦﴾ [سورة ص، آية رقم: ٢٦].

١٤- في قوله تعالى: ﴿فَأَنْتُمْ كَرِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٨﴾، إن الله سبحانه وتعالى

(١) صحيح البخاري برقم ٦٤٠٨، وصحيح مسلم برقم ٢٦٨٩.



يحصي أعمال العباد عليهم في كتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاه، قال تعالى: ﴿ وَكُلَّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ ۗ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَشْورًا ۗ ﴾ [سورة الإسراء، الآيتان: ١٣ - ١٤].

وقال تعالى: ﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحَضَّرًا ۖ وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا ۗ وَيَحْذَرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ۗ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ۗ ﴾ [سورة آل عمران، آية رقم: ٣٠]. فمن عمل وأيقن أن كل عمل يعملها سيلاقيه يوم القيامة لم يقدم إلا خيرًا.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



الوصية الثالثة:

من وصايا لقمان الحكيم لابنه : مراقبة الله تعالى

قوله تعالى: ﴿يَبْتَغِيْ إِنَّهَا إِنْ تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١٦).

في هذه الآية من الفوائد:

- 1- ينبغي للواعظ والناصح أن يكون في موعظته ما يشعر بالإشفاق على المنصوح، فإن قوله: يا بني ليس تصغير احتقار وإنما هو تصغير إشفاق.
- 2- أن الموعظة لا تكون موعظة حقاً حتى تشتمل على بيان عظمة الله وسعة علمه وبالغ قدرته، وهكذا كانت دعوة الأنبياء لأقوامهم، قال نوح عليه الصلاة والسلام لقومه: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا (١٤) أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا (١٥) وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا (١٦) [سورة نوح، الآيات: ١٣ - ١٦].

وقد اشتمل القرآن أول ما نزل على نبيه محمد ﷺ تذكيره بعظمته **سُبْحَانَكَ** فقال تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ (٥)﴾ [سورة العلق، الآيات: ١ - ٥]. وتعظيم الخالق في نفوس الخلق هو أول ما يجب على من دعا إلى الله، وبذلك أمر الله نبيه فقال: ﴿وَرَبُّكَ فَكَبِّرْ﴾ (٣).

[سورة المدثر، آية رقم: ٣]، ولذلك تجد هذا المعنى في جميع قصص الأنبياء مع قومهم، ومن هنا يعلم الخطأ الكبير الذي يقع فيه بعض خطباء الجمعة الذين تخلو خطبهم من الموعظة، وإنما هي دروس علمية، ومسائل فقهية.

٣- الهاء في قوله: ﴿يَبْنِيْ اِيَّاهَا﴾ أي الخطيئة والحسنة، قال ابن جرير رَحِمَهُ اللهُ: لأن الله تعالى ذكره لم يعد عباده أن يوفيهم جزاء سيئاتهم دون جزاء حسناتهم فيقال إن المعصية إن تك حبة من خردل يأت بها الله، بل وعد كلا العاملين أن يوفيه جزاء أعمالهما^(١).

٤- في الآية بيان سعة علم الله وعظيم قدرته المحيطة بما دق وجل من خلقه، فإن حبة الخردل حبة متناهية في الصغر، ولدقيق علمه فإنه يأتي بها، وسواء في ذلك أن تكون في صخرة صماء أو في السموات أو في الأرض، ولذلك قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١٦).

٥- من أسماء الله الحسنى اللطيف والخبير، قال الشيخ عبد الرحمن السعدي رَحِمَهُ اللهُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾ (١٦)، أي لطف في علمه وخبرته حتى اطلع على البواطن والأسرار وخفايا القفار والبحار.

وفي معنى هذه الآية وردت آيات أخر كقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ﴾ (٤٧) [سورة الأنبياء، آية رقم: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً

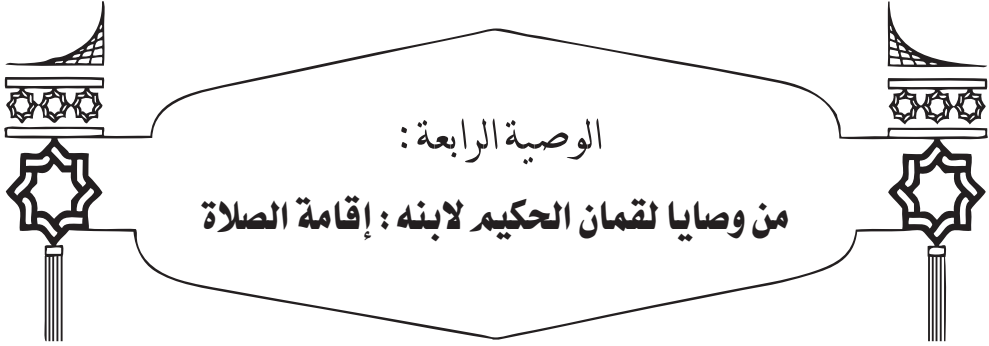
(١) جامع البيان عن تأويل آي القرآن (٨ / ٦٥٥٩).



يُضَلِّعُهَا وَيُؤْتِي مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ [سورة النساء، آية رقم: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿٨﴾﴾ [سورة الزلزلة، آية رقم: ٧-٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾﴾ [سورة يونس، آية رقم: ٦١].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.





الوصية الرابعة:

من وصايا لقمان الحكيم لابنه: إقامة الصلاة

يوصي لقمان الحكيم عليه السلام ابنه بإقامة الصلاة فيقول فيما حكاه الله عنه: ﴿يَبْنِي أَقِمِ الصَّلَاةَ﴾، وفيها من الفوائد:

١- أن الصلاة من العبادات التي لا يستغني عنها البشر، ولذلك فرضها الله وشرعها لجميع الأمم لحاجتهم إليها، فمن دونها لا يطيب عيش، ولا يهنأ بال، ولا تسكن نفس، ولا تقر عين.

الصلاة هي قرة أعين الموحدين، وصللة العارفين بربهم، قال صلى الله عليه وسلم: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ»^(١)، وقال صلى الله عليه وسلم: «قُمْ يَا بِلَالُ فَأَرِحْنَا بِالصَّلَاةِ»^(٢)، من حفظها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لما سواها أضيع. في إقامتها تستقيم حياة المرء، فيحفظه الله بها من الوقوع في المناهي، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت، آية رقم: ٤٥]. مثلها كمثل رجل على نهر جار يغتسل منه كل يوم خمس

(١) سنن النسائي برقم (٣٩٣٩)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن النسائي برقم (٣٦٨٠) من حديث أنس رضي الله عنه.

(٢) سنن أبي داود برقم (٤٩٨٦)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن أبي داود برقم (٤١٧١) من حديث محمد بن الحنفية.



مرات هل يبقى من درنه شيء^(١)، هي كما قال ﷺ: «... وَالصَّلَاةُ نُورٌ»^(٢).
وأمره ربه أن يشر المصلين، قال ﷺ: «بَشِّرِ الْمَشَائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى
الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣).

فالصلاة لا تحصى فضائلها، ولا يُحاط بخصالها.

قال إبراهيم عليه السلام فيما حكاه الله عنه: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ
ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءَ﴾^(٤٠) [سورة إبراهيم، آية رقم: ٤٠].

وقال تعالى لموسى وقومه: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ
بُيُوتًا وَأَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٨٧) [سورة
يونس، آية رقم: ٨٧]، وقال تعالى عن زكريا: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ
يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ﴾ [سورة آل عمران، آية رقم: ٣٩]، وغير ذلك من الآيات
الدالة على أن الصلاة لا تستغني عنها أمة من الأمم.

ومما ينبغي ذكره ما أخبر به ﷺ عن الأنبياء أنهم في قبورهم يصلون^(٤).
ومن عجيب ما يذكر في ذلك ما جاء في قصة إسلام أبي ذر أنه كان

-
- (١) صحيح البخاري (٥٢٨)، وصحيح مسلم برقم (٦٦٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) صحيح مسلم برقم (٢٢٣) من حديث أبي مالك الأشعري.
(٣) سنن ابن ماجه برقم (٧٨١)، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن ابن ماجه
(١/١٣٠) برقم (٦٣٣) من حديث سهل بن سعد الساعدي.
(٤) أخرجه البزار برقم (٦٨٨٨)، من حديث أنس بن مالك، وحسنه الألباني رحمته الله
في أحكام الجنائز (ص ٢٧٢)، وقال: رأى النبي ﷺ موسى في قبره يصلي
عندما أُسري به، وكذلك صلاة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام مقتدين به في
تلك الليلة، كما ثبت في الصحيح.



في الجاهلية يصلي، روى مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن الصامت رضي الله عنه أن أبا ذر رضي الله عنه قال له: وَقَدْ صَلَّيْتُ، يَا ابْنَ أَخِي قَبْلَ أَنْ أَلْقَى رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم بِثَلَاثِ سِنِينَ، قُلْتُ: لِمَنْ؟ قَالَ: لِلَّهِ، قُلْتُ: فَأَيْنَ تَوَجَّهَ؟ قَالَ: أَتَوَجَّهَ حَيْثُ يُوجِّهُنِي رَبِّي، أُصَلِّي عِشَاءً حَتَّى إِذَا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أَلْقَيْتُ كَأَنِّي خِفَاءٌ^(١)، حَتَّى تَعْلُونِي الشَّمْسُ^(٢).

٢- لم يقل لقمان لابنه: صل، وإنما قال له: أقم الصلاة، وبهذا اللفظ وردت أكثر النصوص القرآنية والأحاديث النبوية، وهذا اللفظ أبلغ وأشمل، فهو يدل على أن المطلوب أن تقام الصلاة على أكمل الوجوه وما يشرع فيها من خشوع القلب والجوارح، قال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [سورة البقرة، آية رقم: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [سورة البقرة، آية رقم: ٢٧٧]، وغيرها كثير.

٣- لا يصدق على العبد أن يكون مقيماً للصلاة حتى يقوم فيها بالأمر التالية:

أ- أن يكون خاشعاً في صلاته مقبلاً فيها على ربه يعلم ما يقول فيها، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ [سورة النساء، آية رقم: ٤٣]، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [١] الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ [٢] [سورة المومنون، آية رقم: ١-٢].

(١) الخفاء بكسر الخاء والمد: هو الغطاء، وكل شيء غطيته بكساء أو ثوب فذلك الغطاء خفاء.

(٢) برقم (٢٤٧٣).



من روائع وصايا إكمال الأدب

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَنْصَرِفُ وَمَا كُتِبَ لَهُ إِلَّا عَشْرُ صَلَاتِهِ تُسَعُّهَا ثُمْنُهَا سُبْعُهَا سُدُسُهَا خُمْسُهَا رُبْعُهَا ثُلُثُهَا نِصْفُهَا»^(١).

ومما ينبغي التنبيه عليه أن الرجلين يقومان في الصف قد أديا أعمال الصلاة الظاهرة من التكبير إلى التسليم وبين صلاتيهما كما بين السماء والأرض.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «والناس في الصلاة على مراتب خمسة:

أحدها: مرتبة الظالم لنفسه المفرط، وهو الذي انتقص من وضوئها ومواقيتها وحدودها وأركانها.

الثاني: من يحافظ على مواقيتها وحدودها وأركانها الظاهرة ووضوئها، لكنه قد ضيع مجاهدة نفسه في الوسوسة، فذهب مع الوسوس والأفكار.

الثالث: من حافظ على حدودها وأركانها وجاهد نفسه في دفع الوسوس والأفكار، فهو مشغول بمجاهدة عدوه لئلا يسرق صلاته، فهو في صلاة وجهاد.

الرابع: من إذا قام إلى الصلاة أكمل حقوقها وأركانها وحدودها، واستغرق قلبه مراعاة حدودها لئلا يُضَيِّعَ شيئاً منها، بل همه كله مصروف إلى إقامتها كما ينبغي وإكمالها وإتمامها، قد استغرق قلبه شأن الصلاة وعبودية ربه سبحانه وتعالى فيها.

الخامس: من إذا قام إلى الصلاة قام إليها كذلك، ولكن مع هذا قد أخذ قلبه ووضع بين يدي ربه ﷻ، ناظرًا بقلبه إليه، مراقبًا له،

(١) سنن أبي داود من حديث عمار بن ياسر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ برقم (٧٩٦)، وصححه الشيخ الألباني رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في صحيح سنن أبي داود (١/١٥١) برقم (٧١٤).



ممتلئاً من محبته وعظمته كأنه يراه ويشاهده، وقد اضمحلت تلك الوسوس والخطرات، وارتفعت حجبتها بينه وبين ربه، فهذا بينه وبين غيره في الصلاة أفضل وأعظم مما بين السماء والأرض، وهذا في صلاته مشغول بربه ﷺ، قرير العين به. فالقسم الأول معاقب، والثاني محاسب، والثالث مكفر عنه، والرابع مثاب، والخامس مقرب، لأن له نصيباً ممن جعلت قره عينه في الصلاة، فمن قررت عينه بصلاته في الدنيا قررت عينه بقربه من ربه ﷺ في الآخرة، وقررت عينه أيضاً به في الدنيا، ومن قررت عينه بالله قررت به كل عين، ومن لم تقرر عينه بالله تعالى تقطعت نفسه على الدنيا حسرات»^(١).

ب- أن يؤديها بشروطها وأركانها وواجباتها وتكمل إقامتها بالإتيان بما يُستحب فيها، قال ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»^(٢).

ج- المداومة على أدائها حتى الممات، قال تعالى: ﴿إِلَّا الْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ﴾^(٣) [سورة المعارج، آيتان: ٢٢-٢٣]، وكان من آخر ما وصى به النبي ﷺ وهو يلفظ أنفاسه أن قال: «الصَّلَاةُ الصَّلَاةُ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ»^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب، ص ٣٤ - ٣٥.

(٢) صحيح البخاري برقم (٦٣١) من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه.

(٣) سنن ابن ماجه من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه برقم (٢٦٩٧)، وصححه الشيخ

الألباني رحمته الله في صحيح سنن ابن ماجه (١٠٩/٢) برقم (٢١٨٣).





قال لقمان لابنه فيما حكاه الله عنه: ﴿وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَأَنْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾،
وفي هذا من الفوائد:

١- أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مشروع في الأمم السابقة
وهذا يدل على أن المجتمعات لا تصلح بدونه، وقد فضل الله أمة
محمد صلى الله عليه وآله على سائر الأمم السابقة لقيامهم بهذا الأمر فقال تعالى: ﴿كُنْتُمْ
خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: ١١٠].

قال عمر رضي الله عنه: «من سره أن يكون من هذه الأمة، فليؤد شرط الله
فيها»^(١).

وقال القرطبي رحمته الله: «إنما صارت أمة محمد صلى الله عليه وآله خير أمة لأن
المسلمين منهم أكثر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيهم أفشى»^(٢).
وقال أيضاً رحمته الله: «في هذه الآية مدح لهذه الأمة ما أقاموا ذلك،

(١) تفسير ابن كثير رحمته الله (٣/ ١٥٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٦١).



واتصفوا به، فإذا تركوا التغيير وتواطؤوا على المنكر زال عنهم المدح، ولحقهم اسم الذم وكان ذلك سبباً في هلاكهم»^(١).

٢- أن العبد قد يستقيم في نفسه، ولا يكون ذلك كافياً بل عليه أن يقيم على الحق غيره، بأن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. فهذا لقمان عليه السلام لما أوصى ابنه بالاستقامة في نفسه أمره بذلك، فإن شخصية المسلم مبنية على أربعة أركان:

الأول: العلم والإيمان.

الثاني: العمل الصالح.

الثالث: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

الرابع: الصبر.

قال تعالى: ﴿وَالْعَصْرِ ١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾ [سورة العصر، الآيات: ١ - ٣].

٣- الحياة كلها أمر ونهي، فمن كان أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فذاك المؤمن، قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ [سورة التوبة، آية رقم: ٧١].

فمن عكس ذلك فهو المنافق، قال تعالى: ﴿المُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ

(١) الجامع لأحكام القرآن (٥/ ٢٦٤).



بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ﴿ [سورة التوبة، آية رقم: ٦٧].

٤- من فوائد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تجنب سخط الله ولعنته، قال تعالى: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ [سورة المائدة، آيتان: ٧٨ - ٧٩].

٥- ومن فوائده أيضاً أنه إذا وقع الهلاك على العاصين نجا أهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلِهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ [سورة هود، آية: ١١٧].

٦- ومنها أن من لم يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر وهو قادر على ذلك فإنه يهلك مع أهل المنكر وإن لم يعمل عملهم، قال تعالى: ﴿ وَسَأَلْتَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١١٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّا رَبِّكُمْ وَعَلَّهِمْ يَنْقُونَ ﴿١١٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١١٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١١٦﴾ [سورة الأعراف، الآيات: ١٦٣ - ١٦٦].

وقصة اعتدائهم في السبت أنهم نهوا عن الصيد في يوم السبت فاحتالوا على ارتكاب المحرم بأن جعلوا الشباك يوم السبت وجمعوا السمك يوم الأحد، وظنوا أنهم يسلمون من الإثم.



قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كانوا أثلاثاً، ثلث نهوا، وثلث قالوا: ﴿لَمْ تَعْطُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ﴾، وثلث أصحاب الخطيئة، فما نجا إلا الذين نهوا وهلك سائرهم»^(١).

٧- في زمن الفتن يكون المؤمنون على صنفين؛ الصنف الأول الذين يؤذون في سبيل الله لقيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومخالطة الناس، والصبر على أذاهم. والصنف الثاني: المعتزلون، والأول أفضل من الثاني، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الْمُؤْمِنُ الَّذِي يُخَالِطُ النَّاسَ، وَيَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ، أَعْظَمُ أَجْرًا مِنَ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يُخَالِطُ النَّاسَ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى أَذَاهُمْ»^(٢).

وروى الإمام أحمد في مسنده من حديث عبدالرحمن الحضرمي رضي الله عنه قال: أخبرني من سمع النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إِنَّ مِنْ أُمَّتِي قَوْمًا يُعْطُونَ مِثْلَ أَجُورِ أَوْلِيهِمْ يُنْكِرُونَ الْمُنْكَرَ»^(٣).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم عندما سئل: أي الناس خير؟ قال: «رَجُلٌ جَاهَدَ بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، وَرَجُلٌ فِي شِعْبٍ مِنَ الشُّعَابِ يَعْبُدُ رَبَّهُ، وَيَدْعُ النَّاسَ مِنْ شَرِّهِ»^(٤).

٨- ومنها رحمة الله بهذه الأمة حيث جعل النهي عن المنكر على مراتب حسب قدرة المرء واستطاعته، قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا

(١) تفسير ابن كثير (٦/٤٢٨)، وقال ابن كثير رحمته الله: إسناده جيد، ولكن رجوعه إلى قول عكرمة في نجاة الساكتين أولى من القول بهذا، لأنه تبين حالهم بعد ذلك، والله أعلم.

(٢) سنن الترمذي برقم (٢٥٠٧)، وابن ماجه (٤٠٣٢)، واللفظ له، وصححه الشيخ الألباني رحمته الله في صحيح سنن الترمذي (٢/٣٠٦) برقم (٢٠٣٥) من حديث ابن عمر.

(٣) مسند الإمام أحمد (٣٨/٢٤١) برقم (٢٣١٨١)، وقال محققوه: حسن لغيره.

(٤) صحيح البخاري برقم (٦٤٩٤)، وصحيح مسلم برقم (١٨٨٨) من حديث أبي سعيد الخدري.

فَلْيَغْيِرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فِبِلْسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَوْضَعُ
الْإِيمَانِ»^(١).

قال ابن مسعود رضي الله عنه لما وضعت قريش سلى الجزور على ظهر
النبي صلى الله عليه وسلم وهو ساجد عند الكعبة: لو كانت لي منعة طرحتة^(٢)، فلم ينقص
ذلك من قدره ولا مكانته؛ بل إن النبي صلى الله عليه وسلم عندما ضحك الصحابة من دقة
ساقيه قال: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَهُمَا أَنْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أَحَدٍ»^(٣).

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث عبد الله بن
مسعود رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم كَانَ يُصَلِّي عِنْدَ الْبَيْتِ، وَأَبُو جَهْلٍ وَأَصْحَابُ
لَهُ جُلُوسٌ، إِذْ قَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَيُّكُمْ يَجِيءُ بِسَلَى جَزُورِ بَنِي فُلَانٍ،
فَيَضَعُهُ عَلَى ظَهْرِ مُحَمَّدٍ إِذَا سَجَدَ؟ فَانْبَعَثَ أَشَقَى الْقَوْمِ فَجَاءَ بِهِ، فَنَظَرَ
حَتَّى سَجَدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، وَضَعَهُ عَلَى ظَهْرِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَأَنَا أَنْظُرُ لَا أُغْنِي
شَيْئًا، لَوْ كَانَ لِي مَنَعَةٌ، قَالَ: فَجَعَلُوا يَضْحَكُونَ وَيُحِيلُ بَعْضُهُمْ عَلَى
بَعْضٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم سَاجِدٌ لَا يَرْفَعُ رَأْسَهُ، حَتَّى جَاءَتْهُ فَاطِمَةُ،
فَطَرَحَتْ عَنْ ظَهْرِهِ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم رَأْسَهُ ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ
بِقُرَيْشٍ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ إِذْ دَعَا عَلَيْهِمْ، قَالَ: وَكَانُوا يَرُونَ
أَنَّ الدَّعْوَةَ فِي ذَلِكَ الْبَلَدِ مُسْتَجَابَةٌ، ثُمَّ سَمَى: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ،
وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ
خَلْفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ» - وَعَدَّ السَّابِعَ فَلَمْ يَحْفَظْهُ -، قَالَ: فَوَالَّذِي

(١) صحيح مسلم برقم (٤٩) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) صحيح البخاري برقم (٢٤٠)، وصحيح مسلم برقم (١٧٩٤).

(٣) مسند الإمام أحمد (٧/٩٩) برقم (٣٩٩١)، وقال محققوه: صحيح لغيره من حديث
ابن مسعود رضي الله عنه.



نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَرَعى، فِي الْقَلْبِ فِي الْقَلْبِ بَدْرٍ (١).

٩- أن المرء يهلك برضاه عن المنكر وإن كان بعيداً عنه، والعكس بالعكس، قال ﷺ: «إِذَا عَمِلْتَ الْخَطِيئَةَ فِي الْأَرْضِ كَانَ مَنْ شَهِدَهَا فَكْرَهَهَا، - وَقَالَ مَرَّةً: أَنْكَرَهَا - كَانَ كَمَنْ غَابَ عَنْهَا، وَمَنْ غَابَ عَنْهَا فَرَضِيهَا كَانَ كَمَنْ شَهِدَهَا» (٢).

١٠- أن من أشد أنواع النفاق ما يكون في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، روى البخاري ومسلم في صحيحهما من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ» (٣) فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيُّ فُلَانٍ مَا سَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ الْمُنْكَرِ؟ قَالَ: كُنْتُ أَمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَأُكُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ» (٤).

قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [سورة البقرة، آية: ٤٤].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾ (٢) كَبْرَ مَقَاتَا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ [سورة الصف، آية: ٢-٣].

(١) صحيح البخاري برقم (٢٤٠)، وصحيح مسلم برقم (١٧٩٤).

(٢) سنن أبي داود برقم (٤٣٤٥)، من حديث العرس بن عميرة الكندي، وحسنه الشيخ الألباني رحمته الله كما في صحيح سنن أبي داود برقم (٣٦٥١).

(٣) يعني أمعاءه.

(٤) صحيح البخاري برقم (٣٢٦٧)، وصحيح مسلم برقم (٢٩٨٩).



قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: قوله: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ أي: لم تقولون الخير وتحثون عليه، وربما تمدحتم به، وأنتم لا تفعلونه؟ وتنهون عن الشر وربما نزهتم أنفسكم عنه، وأنتم متلوثون متصفون به؟! ولهذا ينبغي للأمر بالخير أن يكون أول الناس مبادرة إليه، والناهي عن الشر أن يكون أبعد الناس عنه^(١).

روى الإمام أحمد في مسنده من حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِي بِي عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ شِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ نَارٍ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ؟ قَالَ: خُطَبَاءُ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا كَانُوا يَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَيَسُونَهُمْ أَنْفُسَهُمْ، وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا يَعْقِلُونَ»^(٢).

وروى الطبراني في معجمه الكبير من حديث جندب بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «مَثَلُ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ مَثَلُ مُصْبِحٍ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيُحْرِقُ نَفْسَهُ»^(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ: «أشد الناس عذاباً يوم القيامة عالم لم ينفعه الله بعلمه، فذنبه من جنس ذنب اليهود»^(٤).

وكان الحسن إذا نهى عن شيء لا يأتيه أصلاً، وإذا أمر بشيء كان شديداً الأخذ به، وهكذا تكون الحكمة، قال أبو الأسود الدولي:

(١) تفسير ابن سعدي (ص ٨٢١).

(٢) (٢٤٤ / ١٩) برقم (١٢٢١١)، وقال محققوه: حديث صحيح.

(٣) المعجم الكبير للطبراني (١٦٦ / ٢) برقم (١٦٨١)، وقال المنذري في كتابه الترغيب والترهيب (١٧٣ / ١): إسناده حسن، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ فِي السَّلْسَلَةِ الصَّحِيحَةِ (٧ / ١١٣٣).

(٤) الفتاوى الكبرى (٥ / ٣٤٢).



لَا تَنَّهُ عَنِ خُلُقٍ وَتَأْتِي مِثْلَهُ
عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمٌ
وَأَبْدَأُ بِنَفْسِكَ فَانْهَاهَا عَنْ غِيَّهَا
فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمٌ
فَهُنَاكَ يُقْبَلُ إِنْ وَعَظْتَ وَيُقْتَدَى
بِالْعِلْمِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ^(١)

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله
وصحبه أجمعين.



(١) الأخلاق والسير في مداواة النفوس (ص ٩٩ - ١٠٠).



الوصية السابعة:

من وصايا لقمان الحكيم عليه السلام لابنه:

الصبر على الأذى في سبيل الله

قال الله تعالى - فيما حكاه الله عنه - قوله لابنه: ﴿وَأَصْبِرْ عَلَىٰ مَا أَصَابَكَ﴾ [سورة لقمان، آية رقم: ١٧]، وفي ذلك من الفوائد ما يلي:

١- أن الصابر على الأذى في سبيل الله من أهل العزائم، ولا يبلغ هذه المرتبة إلا الكمل من الرجال، وقد خص الله بعض أنبيائه بذلك فقال: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ﴾ [سورة الأحقاف، آية رقم: ٣٥]، قال الشيخ السعدي عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾ أي: من الأمور التي يعزم عليها ويهتم بها، ولا يوفق لها إلا أهل العزائم^(١).

قال الشاعر:

عَلَىٰ قَدْرِ أَهْلِ الْعَزْمِ تَأْتِ الْعَزَائِمُ وَتَأْتِي عَلَىٰ قَدْرِ الْكِرَامِ الْمَكَارِمُ

وذكر الصبر هنا بعد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبعد قوله: ﴿وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ﴾ تنبيه على أن من يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر لا بد أن يلحقه الأذى، وأن دواء ذلك وعلاجه النافع هو الصبر، قال بعض

(١) تفسير ابن سعدي (ص ٨٦٦).



السلف: عجبت للصبر تُداوى به الأشياء ولا يداوى به شيء.

٢- أن من أفضل المنح والعطايا أن يرزق العبد الصبر، قال النبي ﷺ: «... وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَلَنْ تُعْطُوا عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»^(١).

٣- أن الله مع الصابر يقويه ويثبته ويعينه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [سورة البقرة، آية رقم: ١٥٣]، وقال النبي ﷺ: «وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ»^(٢).

٤- من فضائل الصبر أن أجره لا حد له ولا عد، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [سورة الزمر، آية رقم: ١٠].

٥- هذه الفضائل العظيمة والأجور الكبيرة لا ينال كمالها إلا بأمرين: أحدهما: أن يشتمل على الأحوال الثلاثة وهي: الصبر على طاعة الله، والصبر عن معصية الله، والصبر على أقدار الله.

وثانيهما: أن يكون الصبر لله وفي الله، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ﴾ [سورة الرعد، آية رقم: ٢٢].

وبذلك أمر الله نبيه حين بعثه برسالته، قال تعالى: ﴿وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [سورة المدثر، آية رقم: ٧].

٦- مما يعين على أن يكون العبد صابراً حقاً العلم بعواقب الأمور^(٣)، فإن

(١) جزء من حديث في صحيح البخاري برقم (٦٤٧٠)، وصحيح مسلم (١٠٥٣) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.

(٢) سبق تخريجه.

(٣) أي نتائج الأفعال وما يترتب عليها.



العلم بذلك يجعل العبد دائماً على استعداد لوقوع المفاجآت، من أجل ذلك قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى»^(١).

ومن ذلك علمه بعواقب الصبر الحميدة، قال الشاعر:

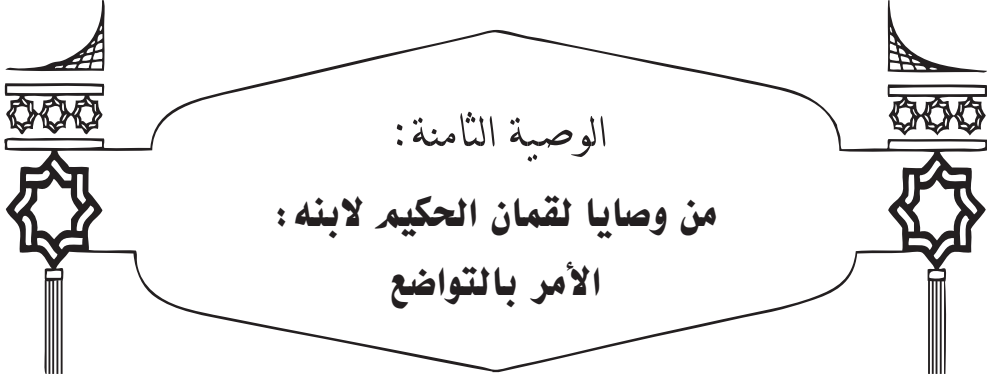
وَالصَّبْرُ مِثْلُ اسْمِهِ مُرٌّ مُذَاقَتْهُ لَكِنَّ عَوَاقِبَهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) جزء من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في صحيح البخاري برقم (١٢٨٣)، وصحيح مسلم برقم (٩٢٦).





قال لقمان لابنه فيما حكاه الله عنه: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخَالٍ فَخُورٍ ﴾ [سورة لقمان، آية رقم: ١٨].

قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ ﴾، أي لا تعرض بوجهك عن الناس إذا كلمتهم أو كلموك احتقارًا منك لهم واستكبارًا عليهم، ولكن أَلن جانبك وابسط وجهك إليهم، كما جاء في الحديث: «وَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْمَعْرُوفِ، وَأَنْ تُكَلِّمَ أَخَاكَ وَأَنْتَ مُنْبَسِطٌ إِلَيْهِ وَجْهَكَ»^(١).

والصعر الميل، وأصله داء يصيب البعير يلوي منه عنقه، ويطلق على المتكبر، يلوي عنقه ويميل خده عن الناس تكبرًا عليهم، ومنه قول عمر بن جنى الثعلبي:

وَكُنَّا إِذَا الْجَبَّارُ صَعَّرَ خَدَّهُ أَقْمَنَا لَهُ مِنْ مَيْلِهِ فَتَقَوَّمَا

(١) سنن أبي داود برقم (٤٠٨٤)، من حديث جابر بن سليم، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ كما في السلسلة الصحيحة برقم (٣٤٢٢).

وقول أبي طالب:

وَكُنَّا قَدِيمًا لَا نُقِرُّ ظَلَامَةً إِذَا مَا تَنَوَّا صُعْرَ الرُّؤُوسِ نُقِيمُهَا

ومن إطلاق الصعر على الميل قول النمر بن تولب العلكي:

إِنَّا أَتَيْنَاكَ وَقَدْ طَالَ السَّفَرُ نَقُودُ حَيْلًا ضَمْرًا فِيهَا صُعْرُ (١)

ومن أعظم العقوبات عقوبة احتقار الناس، قال النبي ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ»، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطْرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ» (٢).

وبطّر الحق هو رده، وغمط الناس احتقارهم، ومن صعر خده للناس فقد غمطهم.

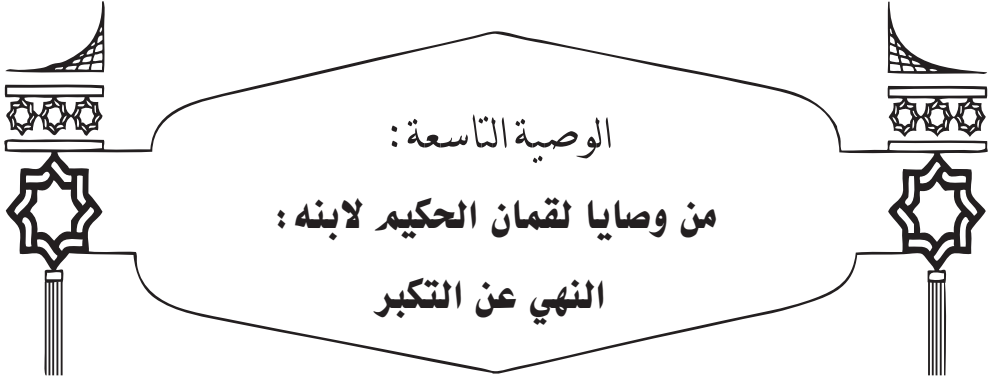
والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) أضواء البيان للشنقيطي (٦ / ٥٤٩).

(٢) صحيح مسلم برقم (٩١)، من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.





قال الله تعالى - فيما حكاه الله عنه - قوله لابنه: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [سورة لقمان، آية رقم: ١٨].

والفرق بين هذه الوصية والتي قبلها أن الأولى في معاملة الناس، والثانية في هيئته بنفسه أن لا يمشي في الأرض مرحًا، وإنما يمشي كما يمشي عباد الرحمن. وفي هاتين الوصيتين الثامنة والتاسعة من الفوائد والحكم ما يأتي:

١- أن التكبر على الحق والخلق موجب لبغض الله تعالى، فإن من لم يحبه الله أبغضه، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [سورة لقمان، آية رقم: ٢٨]، وقال تعالى: ﴿إِنْ قَرُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ وَءَاتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولِي الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [سورة القصص، آية رقم: ٧٦]، وقال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يُبْغِضُ كُلَّ جَعْظَرِيٍّ جَوَّازٍ، سَخَّابٍ بِالْأَسْوَاقِ، جِيْفَةٍ بِاللَّيْلِ، حِمَارٍ بِالنَّهَارِ، عَالِمٍ بِأَمْرِ الدُّنْيَا، جَاهِلٍ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ»^(١).

(١) صحيح ابن حبان برقم (٧٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وحسنه الألباني في =

٢- من أعظم ما يعين على التواضع وترك الكبر أن يعرف العبد ضعفه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [سورة الإسراء، آية رقم: ٣٧]، وقد أبان الله هذه الحقيقة فقال: ﴿وَحُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾ [سورة النساء، آية رقم: ٢٨].

٣- من أحب أن يرفع الله مقامه ويعلي منزلته فليتحلى بخلق التواضع ويجتنب الكبر ودواعيه، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [سورة الفرقان، آية رقم: ٦٣]، وقال النبي ﷺ: «ثَلَاثٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ، وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاخْفُظُوهُ، قَالَ: فَأَمَّا الثَّلَاثُ الَّتِي أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ: فَإِنَّهُ مَا نَقَصَ مَالَ عَبْدٍ صَدَقَةً، وَلَا ظَلَمَ عَبْدٌ بِمَظْلَمَةٍ فَيَضْرِبُ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ بِهَا عِزًّا، وَلَا يَفْتَحُ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ لَهُ بَابَ فَقْرٍ»^(١).

٤- كما يكون الكبر في القلوب يكون في الأقوال والأفعال والأحوال، روى مسلم في صحيحه من حديث إياس بن سلمة بن الأكوع أن أباه رضي الله عنه حدثه: «أَنَّ رَجُلًا أَكَلَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ: «كُلْ بِيَمِينِكَ»، قَالَ: لَا أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «لَا اسْتَطَعْتَ»، مَا مَنَعَهُ إِلَّا الْكِبْرُ، قَالَ: فَمَا رَفَعَهَا إِلَيَّ

= الترغيب والترهيب ثم تراجع وضعفه في سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (٢٣٠٤)، وأعل ذلك بأنه منقطع فإن سعيد بن أبي هند لم يلق أبا هريرة، وصححه الشيخ شعيب الأرنؤوط في تخريج صحيح ابن حبان برقم (٧٢).

(١) مسند الإمام أحمد من حديث أبي كبشة الأنماري رضي الله عنه (٢٩/٥٦١ - ٥٦٢) برقم (١٨٠٣١)، وقد اختلف في تصحيحه وتضعيفه لاختلافهم في يونس بن خباب الأسيدي، فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه، وحسنه محققو المسند.



فيه^(١). فأعظم أنواع الكبر أن يكون في القلب، ويظهر في الأقوال والأفعال، ومنه ما يكون في الأحوال دون القلوب، قال عليه السلام: «إِيَّاكَ وَإِسْبَالَ الْإِرَارِ فَإِنَّ إِسْبَالَ الْإِرَارِ مِنَ الْمَخِيلَةِ، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْمَخِيلَةَ»^(٢).

وقد كان أبو بكر رضي الله عنه لعظم إيمانه وشدة تقواه لربه يخاف على نفسه من ذلك، روى البخاري في صحيحه من حديث سالم بن عبد الله عن أبيه رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَنْ جَرَّ ثَوْبَهُ خِيَلًا، لَمْ يَنْظُرِ اللَّهُ إِلَيْهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَحَدَ شَقِيِّي ثَوْبِي يَسْتَرِّحِي، إِلَّا أَنْ أَتَعَاهَدَ ذَلِكَ مِنْهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم: «لَسْتَ مِنْ مِمَّنْ يَصْنَعُهُ خِيَلًا»^(٣).

٥- إمام المتكبرين وقائدهم إلى النار هو إبليس لعنه الله، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ، سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ أجمعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَا بَلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي اسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَاجِعٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾﴾ [سورة ص، الآيات: ٧١ - ٧٨].

٦- من قصة إبليس وآدم أخذ بعض أهل العلم أن عدم الامتثال للأمر أعظم من الوقوع في النهي، لأن الأول سببه الكبر والثاني سببه الشهوة،

(١) برقم (٢٠٢١).

(٢) مسند الإمام أحمد (٢٣٨ / ٣٤) برقم (٢٠٦٣٥)، وقال محققوه: حديث صحيح من حديث جابر رضي الله عنه.

(٣) صحيح البخاري برقم (٥٧٨٤)، وأخرجه مسلم (٢٠٨٥) بدون ذكر أبي بكر.

من روائع وصايا الأئمة الأربعة

قال ابن القيم رحمته الله: قال سهل بن عبد الله: ترك الأمر عند الله أعظم من ارتكاب النهي، لأن آدم نُهي عن أكل الشجرة فأكل منها فتاب الله عليه، وإبليس أمر أن يسجد لآدم فلم يسجد فلم يُتب عليه.

قلت: هذه مسألة عظيمة لها شأن، وهي أن ترك الأوامر أعظم عند الله من ارتكاب المناهي، وذلك من وجوه عديدة .

أحدها: ما ذكره سهل من شأن آدم وعدو الله إبليس .

الثاني: أن ذنب ارتكاب النهي مصدره في الغالب الشهوة والحاجة، وذنوب ترك الأمر مصدره في الغالب الكبر والعزة، و«لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ»^(١)، ويدخلها من مات على التوحيد وإن زنى وسرق.

الثالث: أن فعل المأمور أحب إلى الله من ترك المنهي كما دلت على ذلك النصوص كقوله ﷺ: «أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى الصَّلَاةُ عَلَى وَقْتِهَا»^(٢).

الرابع: أن فعل المأمورات حياة القلب وغذاؤه وزينته وسروره وقره عينه ولذته ونعيمه، وترك المنهيات بدون ذلك لا يحصل له شيء من ذلك، فإنه لو ترك جميع المنهيات ولم يأت بالإيمان والأعمال المأمور بها لم ينفعه ذلك الترك شيئاً وكان خالداً مخلداً في النار.

وفي الجملة سر هذه الوجوه أن المأمور به محبوبه، والمنهي مكروهه،

(١) جزء من حديث في صحيح مسلم برقم (٩١).

(٢) أصله في الصحيحين من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، صحيح البخاري برقم (٥٢٧)، وصحيح مسلم برقم (٨٥).



ووقوع محبوبة أحب إليه من فوات مكروهه، وفوات محبوبة أكره إليه من وقوع مكروهه، والله أعلم^(١).

٧ - الكبرياء رداء الجبار سبحانه وتعالى، فلا أذل ولا أحقر ولا أهون ممن نازع الله فيه، قال ﷺ: « قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ »^(٢).

٨ - أن الكبر يشمل تركية النفس والإعجاب بها عند الآخرين، والتكبر بالنسب والمال والجاه، والقوة، والجمال، فصاحب النسب الشريف يتكبر على من ليس كذلك، وإن كان أرفع منه عملاً، والغني يتكبر بماله على الفقير، وصاحب المنصب يتكبر على من ليس كذلك، والمرأة الجميلة تتكبر على المرأة التي ليست كذلك، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَرُّكُمْ﴾ [سورة الحجرات، آية: ١٣].

قال ﷺ: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ»^(٣) الحديث.

وقال ﷺ: «لَيْتَهُنَّ أَقْوَامٌ يَفْتَخِرُونَ بِأَبَائِهِمُ الَّذِينَ مَاتُوا إِنَّمَا هُمْ فَحْمُ جَهَنَّمَ، أَوْ لِيَكُونَنَّ أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنَ الْجُعَلِ الَّذِي يُدْهَدُهُ الْخِرَاءُ بِأَنْفِهِ، إِنَّ اللَّهَ أَذْهَبَ عَنْكُمْ عُيْبَةَ الْجَاهِلِيَّةِ وَفَخَّرَهَا بِالْأَبَاءِ، إِنَّمَا هُوَ مُؤْمِنٌ تَقِيٌّ وَفَاجِرٌ»

(١) من أراد الاستزادة فليراجع الفوائد لابن القيم (ص ١٥٨ - ١٧٠).

(٢) صحيح مسلم من حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما برقم (٢٦٢٠) وسنن أبي داود برقم (٤٠٩٠) واللفظ له.

(٣) مسند الإمام أحمد من حديث أبي مالك الأشعري (٣٧ / ٥٣٨) برقم (٢٢٩٠٣)، وقال محققوه: حديث صحيح.



شَقِيٌّ، النَّاسُ كُلُّهُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ خُلِقَ مِنْ تُرَابٍ»^(١).

٩ - من أسباب الوقوع في الكبر أن يأنف المتكبر عن الاعتراف بالخطأ، ولذلك عدَّ أهل العلم البدعة في المرتبة الثانية بعد الكفر، لأن صاحبها لا يتوب منها لأنه يعظم عليه الرجوع إلى الحق والاعتراف بالخطأ، وهذا خلاف ما عليه عباد الله الصالحين، قال تعالى: ﴿لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا﴾ [سورة النساء، آية رقم: ١٧٢].

١٠ - من أسباب الكبر التي يجب التنبه لها والحذر من الوقوع فيها أن يكون في المرء خصلاً يرى أنه بها أفضل من غيره والأمر ليس كذلك. ولذلك لما أمر الله إبليس لعنه الله بالسجود لآدم أبي واستكبر لاعتقاده أنه أفضل منه، والسبب أنه خلق من نار وآدم خلق من طين، قال تعالى فيما حكاه الله عنه: ﴿قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ [سورة الأعراف، آية رقم: ١٢].

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: وقول إبليس لعنه الله فيما حكاه الله عنه: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِمَّنْ﴾ من العذر الذي هو أكبر من الذنب، كأنه امتنع من الطاعة لأنه لا يؤمر الفاضل بالسجود للمفضول. يعني - لعنه الله: وأنا خير منه فكيف تأمرني بالسجود له؟ ثم بين أنه خير منه بأنه خلق من نار، والنار أشرف مما خلقت منه وهو الطين. فنظر اللعين إلى أصل العنصر، ولم ينظر إلى التشريف العظيم، وهو أن الله تعالى خلق آدم بيده، ونفخ فيه من روحه،

(١) سنن الترمذي برقم (٣٩٥٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللهُ في صحيح سنن الترمذي (٣/٢٥٤) برقم (٣١٠٠).



وقاس قياسًا فاسدًا في مقابلة نص قوله تعالى: ﴿فَقَعُوا لَهُ سَجِدِينَ﴾ (٢٩) ﴿سورة الحجر، آية رقم: ٢٩﴾. فشذ من بين الملائكة بترك السجود، فلهذا ألبس من الرحمة، أي آيس من الرحمة، فأخطأ قبحه الله في قياسه ودعواه أن النار أشرف من الطين أيضًا فإن الطين من شأنه الرزانة والحلم والأنابة والتثبت، والطين محل النبات والنمو والزيادة والإصلاح، والنار من شأنها الإحراق والطيش والسرعة، ولهذا خان إبليس عنصره ونفع آدم عنصره بالرجوع والإنابة والاستكانة والانقياد والاستسلام لأمر الله والاعتراف وطلب التوبة والمغفرة^(١).

وفي صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ إِبْلِيسُ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِنْ مَمَّا وَصِفَ لَكُمْ»^(٢).

١١- ومنها تحريم الاختيال وأنه موجب للحرمان من محبة الله، قال صلى الله عليه وسلم: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَتَبَخَّرُ، يَمْشِي فِي بُرْدِيهِ قَدْ أَعْجَبَتْهُ نَفْسُهُ، فَحَسَفَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ، فَهُوَ يَتَجَلَّجَلُ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»^(٣).

١٢- ومنها تحريم التفاخر، قال في المعجم الوسيط: فخر الرجل - فخرًا وفخرًا، وفخارة تباهى بماله وما لقومه من محاسن، ويُقال: «تفاخر» تعاضم وتكبر - والقوم فخر بعضهم على بعض^(٤).

(١) تفسير ابن كثير رحمته الله (٦ / ٢٦٥).

(٢) برقم (٢٩٩٦).

(٣) صحيح البخاري من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما برقم (٥٧٩٠)، وصحيح مسلم (٢٠٨٨).

(٤) المعجم الوسيط (ص ٦٧٦).



أما الكبر فقد قال الغزالي رَحِمَهُ اللهُ: «هو استعظام النفس ورؤية قدرها فوق قدر الغير»^(١)، وقال بعضهم: «هو استعظام الإنسان نفسه واستحسان ما فيه من الفضائل والاستهانة بالناس واستصغارهم والترفع على من يجب التواضع له»^(٢)، والتعريفان يصبان في معنى واحد.

أما معنى الاختيال، فيقال: اختال الشخص: تكبر، تصرف بطريقة تدل على التباهي، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [سورة لقمان، آية رقم: ١٨].

اختال في مشيه تبخر، تمايل كبراً^(٣).

قال رَحِمَهُ اللهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ﴾^(٤).

٣ - استثنى أهل العلم من مظاهر الكبر التي لا يؤخذ عليها المرء حالتان:

الأولى: أن يكون ذلك طبيعة في الشخص لا يقصد لها ولا يتكلف لها كبعض أنواع المشي وأضرب الكلام.

والثانية والثالثة: الاختيال بين الصنفين لإظهار عزة الدين وعلو الإيمان، وعند الصدقة؛ روى الإمام أحمد في مسنده من حديث جابر ابن عتيك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ مِنَ الْغَيْرَةِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ وَمِنْهَا

(١) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٤٥).

(٢) تهذيب الأخلاق للجاحظ (ص ٣٢)

(٣) معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٧١٤).

(٤) صحيح مسلم برقم (٢٨٦٥) من حديث عياض بن حمار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.



مَا يُبْغِضُ اللَّهُ، وَإِنَّ مِنَ الْخِيَلَاءِ مَا يُحِبُّ اللَّهُ، وَمِنْهَا مَا يُبْغِضُ اللَّهُ، وَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ فَالْغَيْرَةُ الَّتِي فِي الرِّيَّةِ، وَأَمَّا الْغَيْرَةُ الَّتِي يُبْغِضُ اللَّهُ فَالْغَيْرَةُ فِي غَيْرِ الرِّيَّةِ، وَأَمَّا الْخِيَلَاءُ الَّتِي يُحِبُّ اللَّهُ فَاخْتِيَالُ الرَّجُلِ بِنَفْسِهِ عِنْدَ الْقِتَالِ، وَاخْتِيَالُهُ عِنْدَ الصَّدَقَةِ، وَالْخِيَلَاءُ الَّتِي يُبْغِضُ اللَّهُ فَاخْتِيَالُ الرَّجُلِ فِي الْفَخْرِ وَالْبَغْيِ»^(١).

قال أبو سليمان الخطابي: معنى الاختيال في الصدقة أن تهزه أريحية السخاء فيعطيهها طيبة نفسه بها من غير من ولا أذى، واختيال الحرب أن يتقدم فيها بنشاط نفس وقوة جنان. قال أبو عبيد: الاختيال أصله التجبر والكبر والاحتقار للناس، والاختيال في الحرب أن تكون هذه الخلال من التجبر على العدو فيستهين بقتالهم وتقل هيئته لهم، فيكون أجراً عليهم، وفي الصدقة أن تعلق نفسه وتشرف فلا يستكثر كثيرها وهذا مثل الحديث المرفوع، «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ مَعَالِيَ الْأَخْلَاقِ، وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا»^(٢)^(٣).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) (٣٩ / ١٦٢) برقم (٢٣٧٥٢)، وقال محققوه: حسن لغيره.

(٢) شرح السنة للبغوي (١٢ / ٣٢١ - ٣٢٢) بتصرف.

(٣) معجم الطبراني الكبير من حديث الحسن بن علي رضي الله عنه (٢٩٦ / ٢٠) برقم (١٢٩٨١)

وقال محققوه: اسناده صحيح على شرط مسلم.



الوصية العاشرة والحادية عشرة: التوسط في الأمور والأحوال

من وصايا لقمان الحكيم لابنه أن يتوسط في أموره وأحواله، قال تعالى فيما حكاه عنه وهو يخاطب ابنه: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ١٩﴾ [سورة لقمان، آية: ١٩].

وقد جاء في التنزيل المبارك الأمر بالتوسط في أكثر من آية، قال تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ١١٠﴾ [سورة الإسراء، آية: ١١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ٢٩﴾ [سورة الإسراء، آية: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ٦٧﴾ [سورة الفرقان، آية: ٦٧].

روى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ارْبِعُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا وَهُوَ مَعَكُمْ»^(١).

ومن فوائد هاتين الوصيتين:

١- أن التوسط في الأمور هو الطريق المستقيم الذي يحبه الله تعالى،

(١) صحيح البخاري برقم (٤٢٠٥)، وصحيح مسلم برقم (٢٧٠٤).

كما دلت على ذلك الآيات السابقة وغيرها.

٢- قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ﴾ قال مجاهد: أقبح الأصوات، وهذا التشبيه يدل على كراهة رفع الصوت من غير حاجة لقوله ﷺ: «لَيْسَ لَنَا مَثَلُ السَّوِّءِ»^(١).

وقد جاء التمثيل بالحمار في سياق التقييح لقوله تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا الثَّورَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [سورة الجمعة، آية رقم: ٥].

٣- روى مسلم في حديث طويل، من حديث المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: فَيَجِيءُ -يعني النبي ﷺ- فَيَسْلُمُ تَسْلِيمًا لَا يُوقِظُ نَائِمًا، وَيَسْمَعُ الْيَقْظَانَ^(٢).

٤- القصد في المشي هو الذي ليس بالبطيء المثبط ولا بالسرير المفرط، بل عدلاً وسطاً بين هذا وهذا دالاً على القوة والنشاط، كما كان الرسول عليه الصلاة والسلام يفعل في مشيه.

روى الامام أحمد في مسنده من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ إِذَا مَشَى، مَشَى مُجْتَمِعًا^(٣)، لَيْسَ فِيهِ كَسَلٌ^(٤).

قال المناوي رحمته الله: «ومع سرعة مشيه كان على غاية من الهون

(١) جزء من حديث في صحيح البخاري برقم (٦٩٧٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وصحيح مسلم برقم (١٦٢٢).

(٢) رقم (٢٠٥٥).

(٣) قوله: مجتمعا، قال ابن الأثير: أي شديد الحركة قوي الأعضاء، غير مُسْتَرخٍ في المَشْيِ. النهاية (٢٩٧/١).

(٤) (١٦٠/٥) برقم (٣٣٠٣)، وقال محققوه: صحيح رجاله ثقات رجال الصحيح.



والتأني وعدم العجلة، فكان يمشي على هينته ويقطع ما يقطع بالجهد بغير جهد»^(١).

وروى البغوي رَحِمَهُ اللهُ فِي شرح السنة بسنده إلى علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا مَشَى تَكْفَأُ تَكْفِيًّا؛ كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ»^(٢).

وروي عن علي: أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا مَشَى تَقَلَّعَ^(٣).

قال البغوي رَحِمَهُ اللهُ: قوله تَكْفِيًّا: أي تمايل إلى قدام، كما تتكفأ السفينة في جريها، وقوله «تقلع» أي كان قوي المشية يرفع رجليه من الأرض رفعا بائنا بقوة لا كمن يمشي احتيالا، ويقارب خطاه تنعما^(٤).

٥- من مواضع المشي التي جاء فيها التوجيه النبوي: المشي إلى الصلاة، قال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إِذَا سَمِعْتُمْ الإِقَامَةَ، فَأَمْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، وَلَا تُسْرِعُوا، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا»^(٥).

٦- الوصية باستحباب القصد في المشي وخفض الصوت إنما ذلك بالأحوال التي لا حاجة فيها بالإسراع في المشي أو رفع الصوت، فإذا جاءت الحاجة إلى ذلك لم يكن مكروها ولا منكرا، وقد وردت النصوص بذلك. وهذه إشارة إلى بعض النصوص، قال تعالى:

(١) فيض القدير (٥/ ٢٤٨).

(٢) (٣١٩/١٢) برقم (٣٣٥٣)، وقال البغوي: هذا حديث صحيح.

(٣) (٣١٩ / ١٢) وقال محققوه: رواه الترمذي وأبو داود وأحمد من حديث لقيط: فلم ينشب أن جاء رسول الله ﷺ يتقلع يتكفأ، وسنده صحيح.

(٤) شرح السنة (١٢ / ٣٢٠).

(٥) صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ برقم (٦٣٦)، وصحيح مسلم برقم (٦٠٢).



﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَى ﴾ [سورة القصص، آية رقم: ٢٠]،
وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ
فَأَسْعُوا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [سورة الجمعة، آية رقم: ٩]، وقد فسر بعض
أهل العلم السعي هنا بالمشي القصد.

وثبت في أحاديث كثيرة أن السنة في السعي بين الصفا والمروة أن
يسرع بين العلمين، روى الإمام أحمد في مسنده من حديث عائشة رضي الله عنها
قال: خَرَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ وَأَنَا جَارِيَةٌ لَمْ أَحْمِلِ
اللَّحْمَ، وَلَمْ أَبْذُنْ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: «تَقَدَّمُوا» فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ لِي: «تَعَالِي
حَتَّىٰ أُسَابِقَكَ»، فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقْتُهُ، فَسَكَتَ عَنِّي، حَتَّىٰ إِذَا حَمَلْتُ اللَّحْمَ
وَبَدَنْتُ وَنَسِيتُ، خَرَجْتُ مَعَهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: «تَقَدَّمُوا»
فَتَقَدَّمُوا، ثُمَّ قَالَ: «تَعَالِي حَتَّىٰ أُسَابِقَكَ» فَسَابَقْتُهُ فَسَبَقَنِي، فَجَعَلَ
يَضْحَكُ، وَهُوَ يَقُولُ: «هَذِهِ بِتِلْكَ»^(١).

وروى البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث سلمة بن
الأكوع رضي الله عنه قال: خَرَجْتُ قَبْلَ أَنْ يُؤْذَنَ بِالْأُولَىٰ، وَكَانَتْ لِقَاحُ
رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَرَعَىٰ بِذِي قَرَدٍ، قَالَ: فَلَقِينِي غُلَامٌ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ
عَوْفٍ، فَقَالَ: أُخِذْتُ لِقَاحُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قُلْتُ: مَنْ أَخَذَهَا؟ قَالَ:
غَطْفَانُ، قَالَ: فَصَرَخْتُ ثَلَاثَ صَرَخَاتٍ: يَا صَبَاحَاهُ، قَالَ: فَأَسْمَعْتُ مَا
بَيْنَ لَابَتِي الْمَدِينَةِ، ثُمَّ انْدَفَعْتُ عَلَىٰ وَجْهِي حَتَّىٰ أَدْرَكْتَهُمْ، وَقَدْ أَخَذُوا
يَسْتَقُونَ مِنَ الْمَاءِ، فَجَعَلْتُ أَرْمِيهِمْ بِنَبْلِي، وَكُنْتُ رَامِيًا، وأقول:

أَنَا ابْنُ الْأَكْنُوْعِ وَالْيَوْمُ يَوْمُ الرُّضْعِ

(١) (٤٣ / ٣١٣) برقم (٢٦٢٧٧)، وقال محققوه: إسناده جيد.



وَأَرْتَجِزُ، حَتَّى اسْتَفْذْتُ اللَّقَاحَ مِنْهُمْ، وَاسْتَلَبْتُ مِنْهُمْ ثَلَاثِينَ بُرْدَةً، قَالَ: وَجَاءَ النَّبِيُّ ﷺ وَالنَّاسُ، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَدْ حَمَيْتُ الْقَوْمَ الْمَاءَ وَهُمْ عِطَاشٌ، فَأَبَعْتُ إِلَيْهِمُ السَّاعَةَ، فَقَالَ: «يَا ابْنَ الْأَكْوَعِ، مَلَكَتَ فَأَسْجِحُ»^(١).

ومن المواضع التي لا يكره فيها رفع الصوت بل يكون مستحباً أو واجباً رفع الصوت بالأذان، روى البخاري في صحيحه من حديث عبد الرحمن بن أبي صعصعة الأنصاري عن أبيه رضي الله عنه أنه أخبره: أن أبا سعيد الخدري رضي الله عنه قال له: إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ وَالْبَادِيَةَ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ، أَوْ بَادِيَتِكَ، فَأَذَّنْتَ بِالصَّلَاةِ، فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ، فَإِنَّهُ لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جُنٌّ وَلَا إِنْسٌ، وَلَا شَيْءٌ، إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(٢).

وروى مسلم في صحيحه في غزوة حنين: أن النبي ﷺ قال للعباس رضي الله عنه: «أَيُّ عَبَّاسٍ، نَادِ أَصْحَابَ السَّمْرَةِ»، فَقَالَ عَبَّاسٌ: وَكَانَ رَجُلًا صَيِّتًا، فَقُلْتُ بِأَعْلَى صَوْتِي: أَيْنَ أَصْحَابُ السَّمْرَةِ؟ قَالَ: فَوَاللَّهِ، لَكَأَنَّ عَطْفَتَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقْرِ عَلَى أَوْلَادِهَا^(٣).

وروى البخاري ومسلم من حديث العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه قال: قَالَ: صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ الصَّفَا ذَاتَ يَوْمٍ، فَقَالَ: «يَا صَبَاحَاهُ»، فَاجْتَمَعَتْ

(١) صحيح البخاري برقم (٤١٩٤)، وصحيح مسلم برقم (١٨٠٦).

(٢) رقم (٣٢٩٦).

(٣) صحيح مسلم برقم (١٧٧٥) من حديث عباس بن عبد المطلب رضي الله عنه.





من روائع وصايا الأنبياء

إِلَيْهِ قُرَيْشٌ^(١) ... الحديث

وكان النبي ﷺ إِذَا خَطَبَ أَحْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلَا صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: «صَبَّحَكُمْ وَمَسَّكُمْ»^(٢).

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) صحيح البخاري برقم (٤٨٠١)، وصحيح مسلم برقم (٢٠٨).

(٢) صحيح مسلم برقم (٨٦٧) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه.





الفهرس

- مقدمة: ٥
- الوصية الأولى: الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك ١٠
- الوصية الثانية: من وصايا لقمان الحكيم لابنه: بر الوالدين ١٣
- الوصية الثالثة: من وصايا لقمان الحكيم لابنه: مراقبة الله تعالى ٢٠
- الوصية الرابعة: من وصايا لقمان الحكيم لابنه: إقامة الصلاة ٢٣
- الوصية الخامسة والسادسة: من وصايا لقمان الحكيم لابنه: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ٢٨
- الوصية السابعة: من وصايا لقمان الحكيم لابنه: الصبر على الأذى ٣٦
- الوصية الثامنة: من وصايا لقمان الحكيم لابنه: الأمر بالتواضع ٣٩
- الوصية التاسعة: من وصايا لقمان الحكيم لابنه: النهي عن التكبر ٤١
- الوصية العاشرة والحادية عشرة: التوسط في الأمور والأحوال ٥٠
- الفهرس: ٥٧



هذا الكتاب منشور في

سِبْكَتِ الْأَوْكَتِ

www.alukah.net